تحقيق

يفضل ابناء المخيمات ترك المقاعد الدراسية والتوجه إلى سوق العمل مباشرة (ارشيف – هيثم الموسوي)

أبناء المخيمات: العلم لم يعد أولوية

كان العلم بالنسبة إلى الفلسطينيين أيام الثورة طريق تحرير فلسطين جنباً إلى جنب مع البندقية. طال الوقت على اللاجئين وتأثروا بأوضاع بلدان اللجوء وظروفهم فيها، فأصبح خروجهم المبكر للعمل يترجم يأساً من الأوضاع التي يعيشونها

قاسم س. قاسم

«لماذا يجب أن أتعلم وأدفع تكاليف الجامعة، وما أنتجه الآن يوازي ما كنت سأنتجه أو أكثر لو تخرجت؟». بهذا «التفكير المنطقي»، يبرّر أحمد النابلسي تركه للمدرسة منذ صف البريفيه. الشاب الفلسطيني الذي يملك محلّاً للألبسة في منطقة الطريق الجديدة، ترك المدرسة «مع أن كل شيء متوافر لي لإكمال علمي»، فوالده الذي يعمل في الخليج، يرسل دورياً مصاريف العائلة، بما فيها ما كان مفترضاً أن يكون مصروفه المدرسي. قد يقول أحدهم إن نابلسي محظوظ بوالده، لأن الأوضاع الاقتصادية للكثير من الفلسطينيين لا تسمح لهم بتوفير تكاليف المصاريف المدرسية لأولادهم، إن من ناحية المواد القرطاسية أو رسوم التسجيل. ومع أن التعليم في مدارس الأونروا مجاني، فإن الأزمة المالية التي مرت بها الوكالة جعلته واقعياً «شبه مجاني»، إذ بدأت الوكالة بطلب رسوم رمزية من المنتسبين الى مدارسها، وهي عبارة عن مئة ألف ليرة لبنانية، تغطي توفير الأونروا للكتب ولجزء من القرطاسية. لكن أسباب رفض نابلسي إكمال دراسته، مع أن كل شيء متوفر له، كثيرة، وهو مستعدّ لشرحها وتفصيلها. أولها انعدام أمل إيجاد فرص عمل مناسبة في لبنان، وخصوصاً أن «خبرية» الحقوق الاجتماعية وتعقيدات حق العمل للاجئين الفلسطينيين التي باءت بنصف فشل، لا تزال مطبوعة في رأسه. «تركت المدرسة لأني فلسطيني»، يقول. وهل أصبحت البطاقات الزرقاء حجة «رسمية» مشروعة للخروج المبكر إلى سوق العمل؟ يبدأ الشاب بمحاولة إيجاد تبريرات يقنع نفسه بها قبل الآخرين، «لا يمكنني أن أعمل في وظيفة محترمة، ولا يمكنني أن أتملك شقة، وإذا تملكت شقة فلن أستطيع توريثها إلى ولدي». يدعم الشاب نظريته بتبريرات يراها منطقية، «أليس الهدف من الدراسة أن نعيش حياة كريمة؟ أنا الفلسطيني، بكل بساطة، إذا تعلمت أو لم أتعلم لن أستطيع أن أعيش بكرامة لأنني ممنوع من ذلك، بحسب القوانين اللبنانية». هكذا، فضّل أن يترك المدرسة ويستدين من والده مبلغاً من المال لكي يفتح محلاً للألبسة. نابلسي ليس الوحيد الذي ترك المدرسة وتحول الى سوق العمل بملء إرادته. ففي مخيم شاتيلا في أحد الأزقّة الداخلية تجلس مجموعة من الشبّان. مروان العرب يقدم نفسه لك بصفة «عاطل من العمل»، كما يقول ضاحكاً. العرب كان سيحصل على إجازة في المعلوماتية لو أنه أكمل علمه، لكنه كما يقول «طحّلت، بين تقسيم وقت العمل والدراسة».

أظهرت الدراسة التي قامت بها الأونروا بالتعاون مع الجامعة الأميركية في بيروت، والتي تناولت الوضع الاقتصادي والاجتماعي للاجئين، أن ما نسبته 6% فقط من اليد العاملة الفلسطينية تملك شهادات جامعية، مقارنة بـ20% من اليد العاملة اللبنانية، وأن 8% من الذين أعمارهم بين 7 و15 عاماً لم يرتادوا المدرسة في عام 2010، بالإضافة إلى أن 13% من اللاجئين فوق 18 لديهم شهادات ثانوية، مقارنة بـ17% من اللبنانيين. يشار إلى أن عدد العاملين الفلسطينيين في لبنان يصل إلى 53 ألف عامل.

الشاب الذي درس في أحد المعاهد اللبنانية فقد أمل إمكانية العمل في لبنان إذا تخرج. أما الآن فهو يعيش حالة انتظار «ربما أستطيع الحصول على فرصة عمل في الخارج»، يقول الشاب العشريني الذي وصل الى السنة الثالثة في اختصاص المعلوماتية ويضيف: «أخي الذي أجبرني على ذلك. كان هو من يساعدني على دفع تكاليف المعهد وجزء من تكاليف مصروفي، لكنه تزوج وأصبحت لديه عائلة ليصرف عليها توقعت أن أستطيع إكمال دراستي، وأنني عندما أتخرج سأعمل في إحدى الشركات، وأن أصبح موظفاً.. لكنني اصطدمت بواقع أنني فلسطيني ممنوع من العمل رسمياً، فقرّرت أن أترك الدراسة وأبدأ العمل بالأسود» أي بالخفاء. هكذا، انعكس الواقع الاجتماعي للاجئين الفلسطينيين في لبنان، وحرمانهم من حقوقهم المدنية والاجتماعية على فئة الشباب، فهؤلاء فضّلوا ترك المقاعد الدراسية، حتى لو استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، والتوجه الى سوق العمل مباشرة دون الحاجة الى المرور بمرحلة الدراسة للتحول الى هذا السوق. فقد أظهرت الأرقام في آخر دراسة أعدّتها الأونروا بالتعاون مع الجامعة الاميركية في بيروت حول الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للاجئين الفلسطينيين في المخيمات، أن 6% فقط من الفلسطينيين يحملون شهادات جامعية. الدراسة التي أفرجت عنها الأونروا أخيراً، بيّنت أيضاً أنه كلما ارتفع المستوى العلمي لربّ المنزل تراجع معدل الفقر الى ما نسبته 60,5%، وتراجع معدل الفقر الشديد الى النصف. أما ما ساهم في المأساة التربوية في المخيمات فهو اختفاء الثقافة التي كانت سائدة في أوساط الفلسطينيين وتقول: إن الفلسطيني غير المتعلم هو خائن لبلده. فتحرير فلسطين كان يمر من فوهة الشهادة الجامعية أيضاً وليس البندقية فقط، كما كان أبناء المخيمات يلقّنون أولادهم أيام الثورة الفلسطينية. لكن الواقع المعيشي المأساوي لأبناء المخيمات صار، لطول الوقت، يستنزف إرادتهم وخصوصاً في ظل تراجع الإيمان الحقيقي بالتغيير. هكذا، لم يرتد ما نسبته 8% ممن هم في سن الذهاب الى المدرسة (بين 7 و15 عاماً) أي مدرسة في عام 2010. هذه الأرقام يُتوقع ازديادها في الأعوام المقبلة خصوصاً، أن الكثافة السكانية في ازدياد، وأن نسبة العاطلين من العمل في المخيمات والتجمعات الفلسطينية وصلت إلى ما نسبته 56%، ما سيدفع اللاجئين إلى البحث عن فرص عمل عوضاً عن التفكير في كيفية إكمال الدراسة. هكذا، يبقى على الأونروا أن تعمل على تحسين القطاع التربوي لديها كي تستطيع أن «تكمل باللي بقيوا».

> تحرير فلسطين كان يمر من فوهة الشهادة الجامعية أيضاً وليس البندقية فقط

زينكو هاوس

عفريت القنينة

(عبد الناصر الناجي)

حسان حسان

عندما تقطن في المخيم، فإنك تعتاد رؤية السطوح تعج بالأغراض القديمة والمهملة، وهي عادة (مخيمجية) أصيلة. نصيبي من هذه العادة كنز من القناني الفارغة المتعددة الأحجام والأشكال لأفخر أنواع الكحول الوطني والأجنبي وأردئها، جمعتها على مدار عشر سنوات. كانت إجابتي في البداية لمن يسأل عن سبب الاحتفاظ بهذه الزجاجات أنني أحاول إبقاء بعض الذكريات.

وبعد فترة من الزمن، قابلت أبو ربيع، وهو شقيق صديقي، وتبين لي أنه يملك هاجساً أكبر من هاجسي؛ فقد استطاع جمع برميلين من القناني، وعندما سألته عن السبب، أجابني بأنه يريد في النهاية أن يبيعها ويشتري بثمنها طائرة. أعجبني تهكم أبو ربيع، وبدأت أكرره لسنوات.

ومنذ يومين، حلمت بعفريت خرج لي من إحدى القناني وأبدى استعداده لتلبية رغباتي، لكن لا أعرف لماذا لم أطلب من العفريت شيئاً مادياً، بل انهلت عليه بالأسئلة عمّا إن كان يملك بعض المعلومات عن تاريخ إعلان الدولة الفلسطينية، وإن كان هناك حل عادل لقضية اللاجئين، وعن وقف الاستيطان وإنهاء الانقسام، وعما إن كانت هناك ضربة محتملة لغزة أو لبنان، وعن حقيقة البرنامج النووي الإيراني، وعن مستقبل اليسار وهل سيبقى يساراً أم ماذا؟ وهل سيتأهل أحد المنتخبات العربية إلى الدور النهائي لكأس أسيا؟ وهل سيتابع المنتج فراس إبراهيم تصوير مسلسله عن حياة الشاعر محمود درويش ولن يلتفت إلى الأصوات التي عارضته؟ بدا العفريت مستغرباً، لكنه أجابني على طريقة «ربما، وما أدراني؟، يجوز، حسب...». لكن، مع الأسف بدأ هاتفي بالرنين، معلناً نهاية الحلم. حاولت جاهداً أن أعود إلى النوم، لكن دون جدوى. استيقظت وانتهى الأمر. ومن يومها، صار